الفصل الثالث

أسطورة معاداة السامية

من الأساطير السياسية التي تُرَوِّج لها الصهيونية أسطورة عداء الصهيونية المستحكم لأعداء السامية – يقصدون أعداء اليهود - من الفاشيين والنازيين وغيرهم، ويبرهن الصهاينة على هذا العداء بالمذابح التي قام بها أعداء السامية ضد اليهود .

وما تزال الصهيونية تشهر سلاح اللاسامية في وجه كل دولة أو سياسي في العالم ينتقد إسرائيل أو يقف من العرب موقفاً مؤيدًا، بعدما استخدمت هذا السلاح بفاعلية لإقامة دولتها على أرض فلسطين .

ولكن الوقائع دلَّت على أن الصهيونية لم تكن عدوة لأعداء السامية بل على العكس فقد تحالفت الصهيونية مع كل أعداء السامية من الفاشيين والنازيين وغيرهم من أجل إقامة دولة يهودية في فلسطين ، وتوطين يهود العالم فيها ، كما أن الصهاينة قد تقمَّصوا شخصية اللاساميين في سياستهم ضد مخالفيهم من الفلسطينيين واليهود على السواء .

وهذه قصة الصهيونية مع اللاسامية .

علاقة الصهيونية باللاسامية

لاشك أن بروز اللاسامية خصوصًا في روسيا بعد اغتيال القيصر ألكسندر الثاني عام ١٨٨١ ، وتحميل اليهود مسئولية اغتياله ، وبروز اللاسامية في بعض دول أوروبا الشرقية وظهور قضية " درايفوس " (١) في فرنسا في المرحلة نفسها قد ساعدت الحركة الصهيونية على طرح فكرتها على اليهود .

---

(١) قضية الضابط الفرنسي من أصل يهودي " ألفرد درايفوس " الذي تم اعتقاله ومحاكمته عام ١٨٩٤ بتهمة تسريب معلومات عسكرية للألمان ثم ثبتت براءته ، وانقسمت فرنسا حوله . وقد ادَّعى تيودور هرتزل وكان موجودا في حينه كصحافي أجنبي في فرنسا بأن قضية درايفوس هي التي جعلته يتبنى الفكرة الصهيونية ودفعته لكتابة كتابه " الدولة اليهودية " .

لكن موجة اللاسامية التي ظهرت في بعض أنحاء القارة الأوربية في أواخر القرن التاسع عشر كانت موجة محدودة لا تقاس بما عرفته أوروبا من عداء لليهود في مراحل تاريخية سابقة لاسيما في القرون الوسطى ، وكانت موجه عابرة ليس لها جذور عميقة في الواقع الأوروبي في تلك المرحلة ولا فيما كان متجها إليه لأن ظاهرة اللاسامية كانت ذاهبة إلى زوالها التاريخي فقد خلق " عصر التنوير " أي القرن الثامن عشر الأوروبي خصوصًا عبر المفكرين والفلاسفة الفرنسيين لاسيما فولتير ، وروسو ، وديديرو ، ومونتيسكيو ، واقعاً فكريًّا جديدًا في أوروبا كان استكمالاً وتتويجا لعصر النهضة الأوربية وكان تكريسًا نهائيًّا لموت القرون الوسطى ولبدء العصر الحديث فقد برزت وتكرَّست منذ ذلك الحين مفاهيم الحرية والمساواة ، وبرزت فكرة الجمهورية ، وفكرة الديمقراطية كأساس للسلطة وإعلاء شأن العقل كأساس للمعرفة ، وما نتج عن كل ذلك من تكريس للحقوق الفردية والاجتماعية ، وكانت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م هي النتيجة السياسية الأولى لذلك التحول ، ولم تنس الثورة الفرنسية فيما أحدثته إقرار حقوق اليهود كاملة في مجتمعاتهم وذلك قبل قرن من ظهور الحركة الصهيونية في " مؤتمر بال " وانتشرت مبادئ الثورة الفرنسية في كل أوروبا خصوصا أوروبا الغربية التي اندمج فيها اليهود مثلهم مثل سائر مواطنيها، وكان التيار الاشتراكي الذي دخل إلى روسيا وانتصر فيها ، ثم امتد فيما بعد إلى كل أوروبا الشرقية كان ذاهبا في هذا المنحى نفسه وهو دمج اليهود في مجتمعاتهم الأوربية واعتبارهم مواطنين كغيرهم من أبناء الدولة الأصليين .

لذا كانت موجة اللاسامية التي ظهرت في بعض أنحاء أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر محدودة ومصطنعة وزائلة ، وما ظهر من أعمال عنف متفرقة في روسيا ضد اليهود بعد اغتيال ألكسندر الثاني عام ١٨٨١ ، وفي المرحلة التي تلت ذلك كان مفتعلاً افتعالاً من جانب النظام القيصري الذي بات عاجزًا عن ضبط أوضاعه الداخلية ، وخائفاً من انهياره ، وقد انهارت فعلاً بعد حين وانهارت

اللاسامية الروسية معه ، أما قضية درايفوس في فرنسا فلم تؤلب الأمة الفرنسية على اليهود بل أدت إلى انقسامها ، وأدَّت على كل حال إلى انتصار ألفرد درايفوس وإعادة اعتباره وإعادته إلى منصبه العسكري عام ١٩٠٦ .

إننا نوضح ذلك لنصل إلى استنتاجين أساسيين هما :

١- إن الظاهرة اللاسامية – ظاهرة العداء لليهود – التي قامت في بعض بلدان أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر لم تكن على الإطلاق هي الأساس في قيام الدعوة الصهيونية ، ولم تكن هي الدافع الرئيسي للبحث عن الدولة اليهودية ، وإن سهَّلت للصهاينة مهمتهم ، أما الأساس في نشأة الحركة الصهيونية فهو ظهور النزعتين الأوروبيتين الكبيرتين :

أ- **النزعة القومية** التي كانت تهدف إلى إقامة الدول على أساس وحدة اللغة والتراث ، إن لم يكن وحدة العِرق أو تفوقه أو تمجيده (القوميات الألمانية ، والبريطانية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والروسية ...) .

ب- **نزعة الاستعمار** لدى الحضارة الأوربية المسلحة بتطورها العلمي والصناعي والعسكري التي اعتقدت أنها أصبحت هي الحضارة القدوة والحضارة المثالية ومن حقها السيطرة على سائر العالم القابع في نظرها في " بربريته " والغارق في ضعفه وتشتته ، واتجه نظر الاستعمار الأوربي إلى الشرق حيث كانت الإمبراطورية العثمانية التي دامت أربعة قرون تنحدر نحو نهايتها .

٢- رهان الاتجاه الصهيوني على اللاسامية ، واندفاعه للتنسيق معها ، ودوره الكبير في تطويرها حتى وصولها إلى النازية . فقد أدرك الصهاينة منذ البداية ومنذ تيودور هرتزل أن انتهاء العداء لليهود في أوربا يعني انتهاء دعوتهم ، وأنه بقدر ما تشتد اللاسامية ويشتد العداء لليهود بقدر ما يتعذر على اليهود الاندماج في مجتمعاتهم، ويتضح شعورهم بأنهم " شعب واحد " و " قومية واحدة " وتقوى رغبتهم في النزوح عن أوطانهم والتجمع في دولة جديدة تكون هي دولتهم .

هذا هو التحالف المكيافيلي البغيض الذي قامت عليه دولة إسرائيل بين الحركة الصهيونية والحركات اللاسامية . وهذا اللقاء السري بين النقيضين الذي وقع ضحيته اليهود قبل أن يتحولوا إلى أداة تنفيذه .

كانت الصهيونية تصرخ في العلن بأن العداء للسامية لدى شعوب أوروبا هو الخطر الثابت الدائم الذي لا خلاص منه إلا بتجميع اليهود في دولة تكون دولتهم . أما في الخفاء فكانت الصهيونية تذكي نار العداء للسامية كلما خمدت ، وتقدم الحجج اللازمة لاستمرارها وهي عالمة بأن العداء لليهود هو أفضل محرِّك لفصلهم عن أوطانهم وتهجيرهم وتجمعهم في الدولة المقرر قيامها .

وكان اللاساميون يلعبون اللعبة نفسها فيهاجمون الصهيونية في العلن ويجدون فيها البرهان الساطع على " عدم ولاء اليهود لأوطانهم " وعلى كونهم " أغراب يستحيل دمجهم في مجتمعاتهم " بينما كانوا ينسقون في الخفاء مع الحركة الصهيونية، ويجدون فيها أفضل معين لهم على " التخلص من اليهود الاندماجيين " وتوجيههم إلى بقعة خارجية بعيدة تصبح لهم وطنًا .

هذا هو سر العلاقة وسر اللقاءات والمراسلات بين تيودور هرتزل وأكبر المسئولين عن أعمال العنف ضد اليهود الروس في بدء القرن العشرين . (1)

قبل الحركة الصهيونية وقبل نهاية القرن التاسع عشر لم تظهر في التاريخ اليهودي الطويل أية دعوة لتجميع يهود العالم في دولة ما ، ولم ينشأ لدى اليهود أي اتجاه فعلي للهجرة إلى فلسطين حتى في العصور الوسطى التي اشتدت فيها نزعة العداء لليهود في بعض المجتمعات المسيحية الأوروبية وزاد اضطهادهم لهم (والاضطهاد لم يكن قاصرًا على اليهود بل إن الاضطهادات والحروب بين المذاهب المسيحية نفسها كانت أكثر اتساعًا وهولاً) فلم يفكر اليهود في النزوح إلى فلسطين

(1) فيضل أبو خضرا " تاريخ المسألة الفلسطينية " ص ٤٠ ، ٤١ .

ولا فكروا في تحويلها إلى ملجأ أو وطن لهم ، فقد كانت العلاقة مع الأماكن المقدسة الوارد ذكرها في التوراة هي علاقة طقوسية وروحية أيضاً ، ولم يكن لها مضمون سياسي يومًا ، ولا توجه سلطوي ، وبهذا المعنى يعترف ناحوم سوكولوف الذي لعب دورًا رئيسيًّا في تطور الحركة الصهيونية وخَلَفَ حاييم وايزمان في رئاسة "المنظمة الصهيونية العالمية" عام ١٩٣١ فهو يعترف بأن " الصهيونية ليست النتيجة المنطقية لتاريخ شعب إسرائيل " (1)

إن العودة اليهودية إلى فلسطين ، وبناء الوطن اليهودي فيها اللذين تصورهما الصهيونية وكأنهما ظاهرتان طبيعيتان وحركتان تاريخيتان ملازمتان للتاريخ اليهودي من البداية والنهاية هما في الحقيقة حركتان وهميتان ومصطنعتان من جملة ما اختلقته واصطنعته الصهيونية ، وليس لهما وجود تاريخي قبل القرن التاسع عشر.

ولقد هَالَ يهود أوروبا وأمريكا أن يتحملوا وزر الحركة الصهيونية الناشئة التي تلتقي في طرحها وهدفها – ولو من منطلقات مختلفة ومتعارضة – مع أعدائهم اللاساميين فتحيي العداء لليهود ، وتسعى لمنع اندماجهم في أوطانهم وتعمل على تجميعهم ونقلهم إلى مكان بعيد لا معرفة لهم به ولا دافع لهم للذهاب إليه يكون أحيانًا الأرجنتين وأحيانا أوغندا وأحيانا فلسطين .

كانت الحركة الصهيونية تردد الحجج نفسها التي يسوقها اللاساميون ضد اليهود كانت تقول :

١- إن اليهود عِرق واحد وشعب واحد .

٢- لا وَلاء حقيقيًّا لليهود لأوطانهم التي يعيشون فيها .

٣- لا مجال نهائيًّا لاندماج اليهود في أوطانهم .

٤- أن العداء لليهود شعور أبدي ثابت لدى شعوب العالم .

---

(1) نفسه ص ٤٢ .

٥- أن الحلَّ هو فصل اليهود عن سواهم نهائيًّا وإتاحة المجال لتكوين دولة مستقلة لهم تكون بمثابة جيتو كبير .

وكان هرتزل يردد في كل مكان قولاً وكتابة من الأفكار ما يلتقي تمامًا مع اللاسامية وتبريرها فيقول للإمبراطور الألماني : " دع شعبنا يرحل فنحن أجانب " ، وهو يجيب أحد محاوريه الألمان : " إني أتفهم اللاسامية فنحن اليهود بقينا أجسامًا أجنبية داخل مختلف الأمم ، وإن لم يكن الخطأ خطأنا " وبنتيجة حواره مع أحد رجال الدين اليهود الفرنسيين يصل إلى الاستنتاج التالي : " على المرء أن يختار بين صهيون وفرنسا "(١)

الصهيونية والفاشية

قلنا إنه تمَّ تحالف مكيافيلي بين الحركة الصهيونية والحركات اللاسامية ، وبناء على هذا التحالف أنشأت الصهيونية جسور صداقة مع النظام الفاشي في إيطاليا والنظام النازي في ألمانيا .

وقد أكد موسوليني منذ بداية حكمه أن الفاشية لا علاقة لها بالعداء لليهود. وفي ٣٠ أكتوبر ١٩٣٠ أصدر قراراً بدمج كل التجمعات اليهودية في إيطاليا في اتحاد فاشي يمثل كل يهود إيطاليا بغير استثناء، وأصبح هذا الاتحاد إحدى الوكالات الرسمية للحكومة الفاشية. حيث نصت المادة ٣٥ من قانون تأسيس هذا الاتحاد على أن اليهود هم سفراء الفاشية للعالم، وعلى ضرورة أن يشترك اتحاد التجمعات اليهودية في إيطاليا في النشاطات الدينية والاجتماعية ليهود العالم، وأن يحتفظ بعلاقاته الدينية والثقافية معهم .

وفي ٣ يناير ١٩٢٣ قام حاييم وايزمان بوصفه رئيس المنظمة الصهيونية بزيارة موسوليني، لمحاورته بشأن الصهيونية والدعم الفاشي الممكن تقديمه إلى الحركة.

(١) يوميات هرتزل ص ٩ ، ١٩ ، ٧٣ .

واكتشف الزعيم الصهيوني أن اعتراض موسوليني على الصهيونية مرده إحساسه بأن الصهيونية أداة لإضعاف الدول الإسلامية لصالح الإمبراطورية البريطانية . فرد وايزمان عليه رداً مقنعاً بيَّن له فيه أن إضعاف الدول الإسلامية سيعود أيضاً على إيطاليا بالنفع، وأضاف أن شروط حكومة الانتداب ذاتها تفتح المجال أمام إيطاليا أو أية دولة أخرى للمشاركة في تطوير هذا البلد (أي تصدير العمالة الفائضة والحصول على امتيازات تجارية، على حد قول وايزمان)، وأن في وسع إيطاليا أن تفعل ذلك إذ اعتمدت الميزانية اللازمة. وانتهى الاجتماع بتفاهم كامل بين الطرفين، سمح موسوليني على أثره بتعيين يهودي إيطالي في الوكالة اليهودية .

وحينما دُعي وايزمان مرة أخرى إلى إيطاليا في١٧ سبتمبر ١٩٢٦، عرض موسوليني أن يُقدم المساعدة للصهاينة كي يبنوا اقتصادهم، وقامت الصحافة الفاشية بنشر مقالات مؤيدة للصهاينة .

وتحدث ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية مع موسوليني في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٧ الذي قال له : " سأساعدكم في إنشاء هذه الدولة اليهودية " (1)

كما قام ناحوم سوكولوف، باعتباره رئيس اللجنة التنفيذية في المنظمة الصهيونية، بزيارة إيطاليا عام ١٩٢٧ وصرح بأنه أدرك الطبيعة الحقة للفاشية، وأكد أن اليهود الحقيقيين لم يحاربوا قط ضدها . ولا شك في أن كلماته هذه تحمل معنى التأييد الكامل للنظام الفاشي، وقد تبعته في ذلك المنظمة الصهيونية في إيطاليا .

وقد تعلم جابوتنسكي (زعيم الصهيونية التصحيحية) الكثير من الفاشية الغربية، وكان يُعبِّر عن إعجابه الشديد بالدوتشي وفكره، وبالتنظيمات الشبابية الفاشية التي حاولت المنظمات الشبابية التصحيحية التشبه بها في زيها الرسمي. وكال موسوليني المديح والتقريظ لجابوتنسكي حين قال مرة للحاخام ديفيد براتو الذي أصبح فيما بعد

(1) ناحوم جولدمان " السيرة الذاتية " ص ١٧٠ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

حاخام روما: «كي تنجح الصهيونية يجب أن تحصلوا على دولة يهودية لها علم يهودي ولغة يهودية، والشخص الذي يفهم ذلك حقاً هو الفاشي جابوتنسكي». كما نعت موسوليني نفسه ضمناً بأنه صهيوني يدافع عن فكرة الدولة اليهودية. (1)

الصهيونية والنازية : الفكر المشترك

يظهر التماثل بين النازية والصهيونية في خطابهما فكلاهما يستخدم مصطلحات القومية العضوية مثل «الشعب العضوي » و«الرابطة الأزلية بين الشعب وتراثه وأرضه» و«الشعب المختار». وقد سُئل هتلر عن سبب معاداته لليهود، فكانت إجابته قصيرة بقدر ما كانت قاسية : " لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران. ونحن وحدنا شعب الإله المختار . هل هذه إجابة شافية عن السؤال ؟ " .

ويتحدث مارتن بوبر (أحد الأصوات اليهودية الكبرى) عن أن الرابطة بين اليهود وأرضهم هي رابطة الدم والتربة، ومن ثم يطالب بضرورة العودة إلى فلسطين حيث توجد التربة التي يمكن للدم اليهودي أن يتفاعل معها ويبدع من خلالها .

وأثناء محاكمات نورمبرج، كان الزعماء النازيون يؤكدون، الواحد تلو الآخر، أن الموقف النازي من اليهود تمت صياغته من خلال الأدبيات الصهيونية، خصوصاً كتابات بوبر عن الدم والتربة.

ويستخدم النازيون والصهاينة على حد سواء الخطاب النيتشوي الداروينى نفسه المبني على تمجيد القوة وإسقاط القيمة الأخلاقية. إذ يستخدم الصهاينة ـ شأنهم في هذا شأن النازيين ـ مصطلحاً محايداً، فهم لا يتحدثون عن طرد الفلسطينيين وإنما عن "تهجيرهم" أو "دمجهم في المجتمعات العربية". وهم لا يتحدثون مطلقاً عن « تفتيت العالم العربي » وإنما عن "المنطقة"، ولا يتحدثون عن «الاستيلاء» على القدس

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " إشكالية التعاون بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية والنازيين " .مرجع سابق .

وإنما عن "توحيدها" ولا عن الاستيلاء على فلسطين أو «احتلالها» وإنما عن "استقلال "إسرائيل أو عن "عودة الشعب اليهودي" إلى أرض أجداده .

ولنا أن نلاحظ الأصول الألمانية الراسخة للزعماء الصهاينة الذين صاغوا الأطروحات الصهيونية الأساسية. فتيودور هرتزل وماكس نوردو وألفريد نوسيج وأوتو ووربورج كانوا إما من ألمانيا أو النمسا يكتبون بالألمانية ويتحدثون بها، كما كانوا مُلِمِّين بالتقاليد الحضارية الألمانية ويكنون لها الإعجاب ولا يكنون احتراماً كبيراً للحضارات السلافية (وقد غيَّر هرتزل اسمه من «بنيامين» إلى «تيودور» حتى يُؤَلمِن اسمه، وسمَّى ماكس نوردو نفسه بهذا الاسم لإعجابه الشديد بالنورديين). ولا يختلف زعماء يهود اليديشية عن ذلك، فلغتهم اليديشية هي رطانة ألمانية أساساً. ومن جهة أخرى، كانت لغة المؤتمرات الصهيونية الأولى هي الألمانية، كما توجه الزعماء الصهاينة أول ما توجهوا لقيصر ألمانيا لكي يتبنى المشروع الصهيوني. وقد أكد جولدمان أن هرتزل قد وصل إلى فكرته القومية (العضوية) من خلال معرفته بالفكر والحضارة الألمانيين .

وكان كثير من المستوطنين الصهاينة يكنون الإعجاب للنازية، وأظهروا تفهماً عميقاً لها ولمُثُلِها ولنجاحها في إنقاذ ألمانيا. بل عدوا النازية حركة تحرر وطني. وقد سجل حاييم كابلان، وهو صهيوني كان موجوداً في جيتو وارسو (حينما كان تحت حكم النازي)، أنه لا يوجد أي تناقض بين رؤية الصهاينة والنازيين للعالم فيما يخص المسألة اليهودية، فكلتاهما تهدف إلى الهجرة، وكلتاهما ترى أن اليهود لا مكان لهم في الحضارات الأجنبية .[1]

موقف المسيحية من الصهيونية والنازية

في عام ١٩٢٦، حدد فيلي ستارك ما تصوره موقف المسيحية من مسألة الشعب العضوي. فأشار إلى نقط التشابه بين الصهيونية والنازية، فكلتاهما تدور حول قيمة

(1) د. عبد الوهاب المسيري " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " إشكالية التعاون بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية والنازيين " . مرجع سابق .

مطلقة تحيطها القداسة الدينية، الدم والتربة، وهي قيمة تضرب بجذورها في المشاعر الأسطورية الكونية، وفي ممالك الأرض بدلاً من مملكة السماء. ومن ثم، توصَّل فيلي ستارك إلى أنه لا يوجد أي مجال للتفاهم بين المسيحية وعبادة الشعب العضوي : الصهيونية أو النازية. كما توصل إلى أن كلاً من الصهيونية (التي تحاول أن تؤسس الهيكل الثالث أي الدولة الصهيونية) والنازية (التي أسست الرايخ الثالث أي الدولة النازية) تجسيد لعدم فهم البُعد المجازي في العقيدة الألفية الاسترجاعية في المسيحية. وبالتالي، فإن كلتا الحركتين ضرب من ضروب المشيحانية السياسية (الأخروية العلمانية) التي تحوِّل الدنيوي المدنَّس إلى مقدَّس، وبذلك يُمثل كل منهما تهديداً لليهودية والمسيحية، بل للجنس البشري بأسره . (١)

ولقد أحجمت الفاتيكان عن الاعتراف بدولة إسرائيل عند قيامها ، كما أن الكنيسة الشرقية تناهض تمامًا الصهيونية وتعادي دولة إسرائيل ، فهل يوجد تهديد للمسيحية أخطر من سيطرة اليهود الصهاينة على القدس والأراضي المقدسة ؟

واليهود هم أعدى أعداء المسيحية ابتداءً من تكذيبهم للمسيح وإعلان العداء له ولدعوته وحمل دمه – حسب عقيدتهم - وانتهاءً بعدوانهم على مسيحيي فلسطين وهدم كنائسهم تماما كما يفعلون مع مسلمي فلسطين . (٢)

وهذه طائفة من أقوال أكبر الرموز المسيحية العربية التي تؤكد موقفها العقائدي من اليهود الصهاينة والمسيحية البروتستانتية المشايعة لها .

يقول د. ميلاد حنا المفكر المسيحي البارز : " اليهود ركبوا موجة كبيرة جداً في تفسير بعض نصوص دينية في أن يجعل المؤمن المسيحي – البروتستانتي - علشان يبقى مسيحي كويس لازم يؤمن بحق إسرائيل في الوجود وإنها تستنى، وإن دا يخلي المسيح ييجيى يقوم دا يحقق القيامة !! " (٣)

---

(1) نفسه .

(2) انظر " حقيقة اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية " دار الإبداع للمؤلف فصل " علاقة اليهود بالمسيح كما جاءت في الأناجيل " .

(3) د. ميلاد حنا في حوار أجرته معه قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢ .

ويضيف الأستاذ جمال أسعد عبد الملاك (المفكر المسيحي المعروف) قائلاً :

" الأخطر هو الاختراق الصهيوني للمسيحية من خلال إعمال بعض نصوص العهد القديم اللي هو كتاب اليهود لتبرير صفقات سياسية، يعني هو لما ما يقول حكاية الألفية دي، هو المقصود باختصار شديد، الألفية إنه لابد تنتهي ببناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، ومن هنا يبقى تبرير للوجود الإسرائيلي وإنهاء للقضية الفلسطينية من أساسها، وللأسف الشديد أن هناك بعض المسيحيين يغرر بهم باعتبار إن دي تحت مقولات ونصوص دينية، ومن هنا لا.. لا ينظرون إلى مجمل العقيدة وموقف المسيحية بشكل عام من اليهود، ومعروف إن إحنا كنائسنا التقليدية اللي هي الأرثوذكسية والكاثوليكية ضد الحكم الألفي باعتبار إن إحنا الآن يحكمنا المسيح حكما روحياً، ولا وجود لما يسمى بشعب الله المختار، ولا أرض الميعاد، ولا حكم (ألفي) ولا كل الكلام دا كله الهراء الكذب . " (١)

ويقول بطريرك السريان الكاثوليك الإنطاكي أغناطيوس بطرس الثامن عبد الأحد: " إن موقف الكنيسة القبطية المصرية وعلى رأسها قداسة البابا شنودة الذي أصدر أوامره إلى أتباعه بعدم زيارة مدينة القدس ما دامت تخضع للاحتلال الإسرائيلي هذا بالرغم من وجود اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل . " (٢)

تناقض الصهيونية مع المصالح اليهودية

وقد اكتشف النازيون أيضاً عمق تناقض مصالح الصهاينة مع اليهود واتفاق الموقف النازي مع الموقف الصهيوني. فاليهودي الصهيوني الذي يخدم هويته العضوية هو شخص يستحق الاحترام (لأنه يشبه النازي)، على عكس اليهودي

---

(1) قناة الجزيرة برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢ .

(2) لمزيد من التفاصيل حول موقف الكنيسة الشرقية من الصهاينة : يهودا ، ومسيحيين انظر " اليهود والصليبيون الجدد " للمؤلف الطبعة الثانية الفصل الرابع عشر " موقف مسيحيي العرب من مخطط الصليبيين الجدد " مرجع سابق .

المتألمن المندمج الذي يتمسح في الهويات العضوية للآخرين ولا ينجح بطبيعة الحال في اكتسابها، لأنه حبيس هويته اليهودية، شاء أم أبى. ولعل هذا يُفسِّر السبب في **أن النازيين اعتبروا أن** عدوهم الحقيقي هو اليهود الأرثوذكس والجماعة المركزية للمواطنين اليهود من أتباع العقيدة اليهودية. ولعله يفسر أيضاً لم كانت علاقة الدولة النازية بالمنظمات الصهيونية تتسم بشيء من الود والتفاهم. فبينما كان الأرثوذكس والإصلاحيون يطالبون بمنح اليهود حقوقهم كمواطنين، وباندماجهم في مجتمعاتهم، كان الصهاينة يعارضون الاندماج ويعارضون منح اليهود أي حق، إلا حق الهجرة إلى الوطن القومي اليهودي .

لكل هذا قام النظـام النازي بتشجيع النشاط الصهيوني ودعم المؤسسات الصهيونية والسماح للمنظمات الصهيونية بممارسة جميع أنشطتها من تعليم وتدريب على الاستيطان ونشر مجلاته، بينما مُنع الاندماجيون والأرثوذكس من إلقاء الخطب، أو الإدلاء بتصريحات، أو جمع التبرعات أو مزاولة أي نشاط آخر .

فالصهيونية عقيدة سياسية ، وقومية عنصرية ، وأيديولوجيا استعمارية تلك هي الخصائص التي تشرح السياسة الصهيونية التي انتصرت في مؤتمر بازل في أغسطس ١٨٩٧ م .

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية لم تكن بأي حال تمثل روحانية الديانة اليهودية ، ولا المصلحة الحقيقية لليهود ففي نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل انعقد مؤتمر في مونتريال في أمريكا جاء في بيانه الختامي :

" إننا نشجب تماما أي مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية ، وإن أي محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطئ لرسالة إسرائيل .. التي كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها .. ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسي ولا قومي ، ولكن روحي .. (1)

(1) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين الكتاب السابع ١٨٩٧ ص ١٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢١

في هذا المؤتمر تمسك اليهود بروحانية اليهودية ، واعترضوا على المنحى الذي سلكه هرتزل في مؤتمر بازل الذي انتقى من الديانتين اليهودية والمسيحية ما يبرر أهدافه السياسية الاستعمارية " فهو يشير إلى عصر مسيحي حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض " [1]

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من " رابطة حاخامات ألمانيا " وحتى " الاتحاد الإسرائيلي العالمي لفرنسا " و " الاتحاد الإسرائيلي في النمسا " وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية المستوحاة من التمسك بروحانيات الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى المخاصمات والمشاحنات التي دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة لكي تفرض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبي من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية على العكس ما كان متوقعا ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

الصهيونية والنازية : العلاقة الفعلية

قام الصهاينة الألمان بتطوير الأيديولوجيا الصهيونية والوصول بأطروحاتها إلى نتائجها المنطقية، أي تصفية الجماعات اليهودية في المنفى (أي العالم) تماماً وإنشاء الدولة الصهيونية. وابتداءً من العشرينيات، بدأ الزعماء الصهاينة في ألمانيا يطلقون التصريحات الصهيونية التي تؤكد الهوية اليهودية العضوية الخالصة وتنكر على اليهود انتماءهم إلى الأمة الألمانية. ففي عام ١٩٢٠ (قبل ظهور كتاب هتلر كفاحي بثلاثة عشر عاماً)، ألقى جولدمان خطاباً في جامعة هايدلبرج بيَّن فيه أن اليهود

---

[1] نفسه ص ٢١

شاركوا بشكل ملحوظ للغاية في الحركات التخريبية، وفي إسقاط الحكومة في نوفمبر ١٩١٨، وأصر على أن يهود ألمانيا والشعب الألماني ليست بينهما عناصر مشتركة، وعلى أن الألمان يحق لهم أن يمنعوا اليهود من الاشتراك في شئون الفولك الألماني .

أما وايزمان، فقد شبه علاقة الألمان باليهود بصورة مجازية استقاها من عملية الهضم، فقال: إن أي بلد يود تحاشي الاضطرابات المعوية عليه أن يستوعب عدداً محدوداً فقط من اليهود. وكان يرى أن عدد اليهود في ألمانيا أكبر من اللازم، أو بعبارة أخرى يوجد فائض بشري يهودي. وفي الفترة نفسها، وصف كلاتزكين اليهود بأنهم جسم مغروس وسط الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها، ولذا فإن من حقهم أن يحاربوا ضد اليهود من أجل تماسُكهم القومي.

وهذه كلها موضوعات قديمة مطروحة في كتابات هرتزل ونوردو، الأبوين الروحيين للصهيونية على وجه العموم والصهيونية الألمانية على وجه الخصوص، ولكنها اكتسبت أهمية خاصة من سياقها الزماني والمكاني في ضوء ما حدث بعد ذلك. وهي لا تختلف في جوهرها عن قول إرنست يونجر (المفكر القومي العضوي الذي ألهم النازيين) أن اليهود يتوهمون أن بوسعهم أن يصبحوا ألمانيين في ألمانيا، ولكن هذا أمر غير قابل للتحقق. فاليهود يواجهون خياراً نهائياً: إما أن يكونوا يهوداً في ألمانيا، أو لا يكونوا .

ومن المدهش حقاً أن نكتشف أن قادة اليهود الصهاينة الذين أثاروا موضوع الهولوكوست وحصلوا على تعويضات ضخمة من ألمانيا بسببها هم من تعاون مع هتلر المتهم الأول بإبادة اليهود في الهولوكوست !!

فعندما بدأت الحرب ضد هتلر وقفت الغالبية العظمى من المنظمات إلى جانب الحلفاء إلا أن الجماعة الصهيونية رغم قلتها في ألمانيا آنذاك اتخذت سياسة مخالفة منذ ١٩٣٣ وحتى ١٩٤١ ، وتواطأت بل وتعاونت مع هتلر ، وكانت السلطات

النازية ، في الوقت الذي كانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الوظائف العامة -على سبيل المثال في مرحلة أولى - تتحاور مع القادة الصهاينة الألمان وتمنحهم معاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوي النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم .

والاتهام بتحالف اليهود مع هتلر لا ينطبق على غالبية اليهود لكن ينطبق على الأقلية التي كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية .

وكان اهتمامهم الوحيد هو إنشاء دولة يهودية قوية وكانت رؤيتهم العنصرية للعالم تجعل عداوتهم للإنجليز أشد من عداوتهم للنازية .

والمدهش حقا أن المتعاونين مع هتلر من اليهود الصهاينة يصبحون بعد الحرب العالمية هم قادة دولة إسرائيل مثل : مناحم بيجين أو إسحق شامير .

ولقد برهن الزعماء الصهاينة في عصر نازية هتلر على سلوك غامض ومشبوه بدءا من عرقلة الكفاح ضد النازية وحتى التعاون معها .

فالهدف الأساسي لليهود الصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، ولقد أعلن أول رئيس لدولة إسرائيل بن جوريون ودون مواربة في ٧ ديسمبر ١٩٣٨ أمام القادة الصهاينة من " العمال " : " لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا ، وإنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى إسرائيل الكبرى لاخترت الحل الثاني ؛ لأننا يجب أن نحرص ليس فقط على حياة هؤلاء الأطفال بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا " [1]

وفي ضوء هذا التوجه الصهيوني، لم يكن من الغريب أن يرى هتلر حين وصل إلى الحكم أن كثيراً من الصهاينة على استعداد لتَفهُّم وجهة نظره . فقد صرح الحاخام

---

(1) إيفون جلبنير " السياسة الصهيونية ومصير اليهودية الأوربية " م١٢ ص ١٩٩ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٣

الصهيوني يواكيم برنز في يناير ١٩٣٣ أنه لا مكان يمكن لليهود أن يختبئوا فيه. وقال: بدلاً من الاندماج، نرى نحن الصهاينة أنه يجب الاعتراف بالأمة اليهودية وبالعرْق اليهودي .

وحينما قام النازيون في ٣١ يناير ١٩٣٣ بحرق الكتب التي كانوا يرونها هدامة، كتبت يوديش روندشاو (المجلة الناطقة باسم الاتحاد الصهيوني) تقول إن كثيراً من المؤلفين اليهود خونة تنكروا لجذورهم لأنهم شتتوا جهودهم بإسهامهم في الثقافة الألمانية غير اليهودية. وفي نبرة ترحيب واضحة، صرح إميل لودفيج (الكاتب اليهودي الألماني) بأن ظهور النازيين دفع بالآلاف من اليهود إلى حظيرة اليهودية مرة أخرى بعد أن كانوا قد ابتعدوا عنها. وقال: "ولذا، فأنا شخصيًّا ممتن لهم". وترد نفس الفكرة النازية الصهيونية على لسان الشاعر الصهيوني حاييم بياليك إذ يرى أن الهتلرية أنقذت يهود ألمانيا ، ويضيف : " أنا أيضاً مثل هتلر أومن بفكرة الدم ". (١)

الصهيونية ومقاومة النازية

قد بيَّن كثير من الكُتَّاب أنه لم تنشأ أية مقاومة يهودية للنازية في أرجاء أوربا، مع أن مثل هذه المقاومة كان بوسعها أن تصيب آلة الإبادة النازية بالشلل أو تَحِد من سرعتها أو تعطلها،خصوصاً أنها كانت مُرهَقَة.ولم تبدأ المقاومة اليهودية جدياً في وارسو - التي كان ٤٥ % من سكانها من اليهود - إلا في أوائل عام ١٩٤٣، عندما بدأت موازين القوى تميل لصالح الحلفاء وحين قررت برلين تدمير حارة اليهود، وكان الوقت قد فات على إنقاذ نزلاء المعسكرات .

ويبدو أن يهود الولايات المتحدة (الذين يُشكِّلون أكبر جماعة يهودية في العالم) لم يلعبوا دوراً فعالاً بما فيه الكفاية في محاولة حماية يهود ألمانيا. وقد حاولت إحدى

(١) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " إشكالية التعاون بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية والنازيين " .مرجع سابق .

المنظمات اليهودية الأمريكية، عام ١٩٨١، فتح ملف تقصير الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة، ولكنها أغلقته بسرعة بدعوى أن الموضوع محرج ومؤلم، وهو كذلك بالفعل. لكن هذا لا يبرر إغلاق التحقيق، وخصوصاً أن الاتهامات الصهيونية للحكومة الأمريكية والفاتيكان والكنيسة بالتقصير لم تتوقف.[1]

هدف الصهيونية ، إنقاذ اليهود أم إنشاء دولة يهودية ؟

إن الصهاينة اكتشفوا، أثناء الإرهاب النازي ضد اليهود، ذلك التناقض العميق بين فكرة الدولة اليهودية ومحاولة إنقاذ اليهود . وقد حدد بن جوريون القضية بشكل قاطع (في ٧ ديسمبر ١٩٣٧) حين أكد أن المسألة اليهودية لم تَعُد مشكلة آلاف اليهود المهدَّدين بالإبادة وإنما هي مشكلة الوطن القومي أو المستوطن الصهيوني.

وقد أدرك بن جوريون خطورة فصل مشكلة اللاجئين اليهود عن المشروع الصهيوني والتفكير في توطين اللاجئين في أي مكان إن لم تستوعبهم فلسطين. وأكد بن جوريون أنه إن استولت "الرحمة على شعبنا ووجه طاقاته إلى إنقاذ اليهود في مختلف البلاد" فإن ذلك سيؤدي إلى "شطب الصهيونية من التاريخ".

وفي العام التالي صرح بن جوريون أمام زعماء الصهيونية العمالية: « لو عرفت أن من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بتوصيلهم إلى إنجلترا، في مقابل أن أنقذ نصفهم وأنقلهم إلى فلسطين ـ فإني أختار الحل الثاني، إذ يتعين علينا أن نأخذ في اعتبارنا ، لا حياة هؤلاء الأطفال وحسب ، بل كذلك تاريخ شعب إسرائيل ».

وإذا كان بن جوريون على استعداد بالتضحية بنصف الأطفال اليهود من أجل الوطن القومي الصهيوني فإن إسحق جرونباوم (رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية) قد تجاوز الحدود تماماً، ففي حديث له أمام اللجنة التنفيذية الصهيونية في ١٨ فبراير ١٩٤٣، صرح قائلاً إنه لو سُئل إن كان من الممكن التبرع ببعض أموال النداء

---

[1] نفسه .

اليهودي الموحد لإنقاذ اليهود فإن إجابته ستكون « كلاً ثم كلاً » بشكل قاطع . وأضاف: "يجب أن نقاوم هذا الاتجاه نحو وضع النشاط الصهيوني في المرتبة الثانية ...إن بقرة واحدة في فلسطين أثمن من كل اليهود في بولندا ". وكان وايزمان قد عبَّر عن نفس الفكرة النفعية عام ١٩٣٧ حينما قال: " إن العجائز سيموتون، فهم تراب وسيتحملون مصيرهم، وينبغي عليهم أن يفعلوا ذلك".

وانطلاقاً من هذه الرؤية المتمركزة حول المشروع الصهيوني وليس الإنسان اليهودي، لعبت الحركة الصهيونية دوراً حاسماً في تدمير جميع المحاولات الرامية إلى توطين اليهود في أماكن مختلفة من العالم، مثل جمهورية الدومينيكان، حتى يضمن الصهاينة تدفق المادة البشرية اليهودية على فلسطين .ولهذا، التزمت جولدا مائير، مندوبة الحركة الصهيونية في فلسطين، الصمت الكامل حيال مداولات مؤتمر إفيان باعتبارها أمراً لا يخصها .

لم يكن إذن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة بل كان تأسيس دولة يهودية في فلسطين هو الأمر المهيمن على تفكيرهم ، وهذا التعصب يوحي بموقف الوفد الصهيوني في " مؤتمر إيفيان " في يوليو ١٩٣٨ حيث اجتمعت ٣١ دولة لمناقشة استيعاب لاجئي ألمانيا النازية فقد طلب الوفد الصهيوني وكحل وحيد ممكن بقبول مائتي ألف يهودي في فلسطين .

لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود .

إن العدو الرئيسي بالنسبة لزعماء اليهود الصهاينة هو ذوبان اليهود في مجتمعاتهم، وهم يلتقون في ذلك مع الفكر الأساسي لأي عنصرية بما في ذلك العنصرية الهتلرية ، وهو نقاء الدم ، ولهذا السبب وطبقا لمعاداة السامية المنظمة التي دفعت زعماء النازية إلى محاولة طرد كل اليهود من ألمانيا ثم من أوروبا عندما سيطروا عليها ، فإن النازيين قد اعتبروا الصهاينة بمثابة السند الرئيسي لهم لأنهم يخدمون المخطط هذا . (١)

(١) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٤

تعاون اليهود الصهاينة مع النازيين

وهناك قرائن تدل على تواطؤ قادة اليهود الصهاينة مع النازيين فقد وجه الاتحاد الصهيوني الألماني إلى حزب النازي مذكرة في يونيو ١٩٣٣ أعلن فيها ما يلي :

" بتأسيس دولة جديدة - أعلنت مبدأ الجنس – نأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة ، وأن اعترافنا بالجنسية اليهودية يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة مع الشعب الألماني وحقائقه القومية والعنصرية . وذلك لأننا لا نود أن نقلل من قدر المبادئ الأساسية ، ولأننا أيضا ضد الزيجات المختلطة ، فاليهود الواعون بهويتهم والذين نتحدث باسمهم يستطيعون أن يجدوا مكانا لهم داخل هياكل الدولة الألمانية لأنهم قد تحرروا من الشعور بالحقد والضغينة الذي يعاني منه اليهود الذين تمثلهم المجتمعات الموجودين به ؟ وإننا نعتقد في إمكانية العلاقات المخلصة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية .

ولبلوغ هذه الأهداف العملية تأمل الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود ، فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج، وعداؤهم للتوجه الألماني الحالي ، والدعاية للمقاطعة الموجهة ضد ألمانيا هي في جوهرها ليست صهيونية . [1]

وأضافت المذكرة : " وإنه في حالة موافقة الألمان على هذا التعاون ، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا[2]

ورحب الزعماء الهتلريون بتوجيهات قادة الصهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهود من أجل همهم الوحيد وهو إنشاء دولتهم في فلسطين ، وكتب

---

(1) لوسي داووفيش " قارئ للهلوكوست " ص ١٥٥ نقلا عن نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٥

(2) نفسه ص ٧٥

المُنَظِّر النازي الرئيسي " ألفريد روزنبرج " ينبغي مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجموعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين .

وكتب مولار شوانت إلى وزارة الداخلية : " ليس هناك من الأسباب ما يدعو إلى عرقلة النشاط الصهيوني في ألمانيا بواسطة أي إجراءات إدارية لأن الصهيونية لا تتعارض مع برنامج الاشتراكية القومية (النازية) التي هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا " .

وقد طبقت هذه الأوامر بحذافيرها لتأكيد الإجراءات السابقة ، لقد كان وجود المنظمة الصهيونية ليهود ألمانيا وجودا قانونيا وشرعيا حتى عام ١٩٣٨ أي بعد مضي خمس سنوات على اعتلاء هتلر الحكم ، واستمرت صحيفة الصهاينة الألمان تصدر حتى ١٩٣٨ .[1]

أهم أشكال التعاون بين الصهاينة والنازيين

إن التعاون بين الصهيونية والنازية لم يقتصر على العمل على إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، والتخلص من اليهود الألمان بتهجيرهم إليها ، وكسر الحصار والمقاطعة المفروضتان ضد ألمانيا النازية والذي تم من خلال اتفاقية الهعفراه بل امتد التعاون بينهما لحد مشاركة بعض قادة الصهيونية في مساعدة النازيين في إبادة اليهود وتوجد حالات محددة تعاون فيها الصهاينة مع النازيين في عمليات نقل اليهود وإبادتهم (كاستنر ونوسيج). كما تُوجَد منظمة صهيونية ذات طابع نازي واضح، وهي عصبة الأشداء . وبالمثل حاولت منظمة شتيرن تقنين عملية التعاون. وسنحاول الآن تناول أهم أشكال التعاون بين القادة الصهاينة والنازيين .

اليهود الصهاينة يكسرون الحصار ضد ألمانيا النازية

كان اليهود - غير صهاينة - مشغولين بعمليات إنقاذ يهود ألمانيا، وتنظيم مقاطعة اقتصادية ضد النظام النازي. وقد نجحوا في تكوين منظمة دولية أطلق عليها

---

[1] رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٥ – ٧٧ بتصرف .

«الاتحاد اليهودي الاقتصادي العالمي» في أمستردام للتنسيق بين جميع المنظمات الداعية إلى المقاطعة .

وشكلت المقاطعة، وخصوصاً في الشهور الأولى، تهديداً خطيراً للنظام النازي. ولو اتحدت المنظمات اليهودية والصهيونية خلف حركة المقاطعة، لما نجح النازيون، وخصوصاً في الأشهر الأولى من تسلمهم السلطة، في الإمساك بزمام الأمور .

وفي حين كان اليهود - غير الصهاينة - يحكمون الخناق حول النظام النازي عن طريق المقاطعة الاقتصادية نجد أن هناك صفقة تتم بين اليهود الصهاينة والنازيين لإفشال هذه المقاطعة . ففي مقابل الاعتراف الرسمي بالزعماء الصهاينة بوصفهم الممثلين الوحيدين للطائفة اليهودية فقد عرضوا على النازيين القيام بكسر الحصار والمقاطعة .

وابتداءً من ١٩٣٣ بدأ التعاون الاقتصادي ، وأنشئت شركتان هما : شركة هعفرا في تل أبيب ، وشركة يالترو في برلين . وكانت آلية العملية على النحو التالي : يودع أي يهودي يرغب في الهجرة في بنك فاسرمان في برلين ، أو في بنك فاربورج في هامبورج مبلغا لا يقل عن ١٠٠ استرليني وبهذا المبلغ يشتري المُصَدِّرون اليهود بضاعة ألمانية وجهتها فلسطين ، ومع دفع القيمة المقابلة بالجنيهات الفلسطينية ، ولحساب شركة هعفرا في البنك الإنجلو فلسطيني في تل أبيب . وعندما يصل المهاجر إلى فلسطين يتسلم ما يعادل المبلغ الذي أودعه في ألمانيا .

وقد شارك عدد كبير من رؤساء وزراء إسرائيل في هذه العملية لا سيما بن جوريون ، وموشى شاريت (الذي كان يسمى حينذاك موشى شرتوك) وجولدا مائير التي ساندتها من نيويورك ، وليفي أشكول الذي كان الممثل لها في برلين . [1]

([1]) بن جوريون وشرتوك ص ٢٩٤ عن نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص ٧٨

ولقد كانت العملية مربحة بالنسبة للطرفين : فقد نجح النازي في تحطيم الحصار (ونجح الصهاينة في بيع بضائع ألمانية حتى في إنجلترا) وحقق الصهاينة هجرة انتقائية كما أرادوها : فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتي كانت رءوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيوني في فلسطين) .

وطبقا لأهداف الصهيونية فقد كان الأهم هو إنقاذ رءوس الأموال اليهودية من ألمانيا النازية لكي تتاح لها توسيع عملياتها وإن حياة اليهود المُعْدَمين ، أو غير القادرين على العمل أو على الحرب ، ما هي إلا عالة وعبء ثقيل . (1)

إن فترة الهعفراه (2) تُعَدُّ أهم فترة في تاريخ المُستوطَن اليهودي في فلسطين إذ تم تزويده بعدد كبير من أعضاء المادة البشرية المطلوبة وبرأس المال اللازم للبنية التحتية. وقد بلغ عدد اليهود الألمان الذي هاجروا إلى فلسطين في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤١(بموجب الاتفاقية) نحو ٥٢,٣٠٠ ويُشكّلون ٢٥% من مجموع المهاجرين اليهود إلى فلسطين خلال الفترة نفسها. وكان بينهم ٦,٥٢٩ رأسمالياً يمثلون إضافة اقتصادية ضخمة للمستوطن و٦,٧٠٠ مهاجر من أبناء الطبقة الوسطى المثقفة غالبيتهم من الأطباء والمحامين والمهندسين والصناعيين . (3)

ويحكي ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ثم رئيس المجلس اليهودي العالمي في سيرته الذاتية مقابلته المأساوية مع وزير الخارجية التشيكي "إدوار بينيس" في ١٩٣٥ التي عاب فيها على الصهاينة كسرهم لحصار هتلر بواسطة شركة هعفراه واتفاقات النقل ، ورفض المنظمة الصهيونية العالمية تنظيم المقاومة ضد النازية .

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٨

(2) الهعفراه هو اسم المعاهدة التي وقعها قادة الصهاينة مع النازيين لكسر الحصار والمقاطعة التي كان اليهود – غير الصهاينة – أعداء النازية في العالم يحاولون فرضهما على ألمانيا النازية .

(3) د. عبد الوهاب المسيري " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " إشكالية التعاون بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية والنازيين " . مرجع سابق .

يقول جولدمان : " لم أشعر في حياتي بالأسى والخزي في أي مقابلة من المقابلات العديدة التي أجريتها إلا خلال هاتين الساعتين . لقد أحسست بكل شعرة في جسمي أن " بينيس " كان على حقٍّ " ()

ودامت سياسة التعاون بين قادة اليهود الصهيونية وبين النازيين حتى عام ١٩٤١(أي طوال ٨ سنوات بعد وصول هتلر إلى السلطة) . وقد توقفت هذه المفاوضات عندما ألقت قوات الحلفاء القبض في يونيو ١٩٤١ على مندوب شتيرن وإسحق شامير وهو نفتالي لوبنتشيك داخل مكتب الجهاز السري النازي في دمشق وهناك أعضاء في المجموعة واصلوا الاتصالات حتى إلقاء القبض على إسحق شامير من طرف السلطات البريطانية في ديسمبر ١٩٤١ بتهمة " الإرهاب والتعاون مع العدو النازي " .

وهذا الماضي القذر لم يمنع إسحق شامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون رئيساً لمعارضة قوية وأشدها تمسكاً باحتلال الضفة الغربية !!

المجالس اليهودية

ومن بين أشكال التعاون بين الصهيونية والنازية " المجالس اليهودية " وهي مجالس كان يقيمها النازيون بين الجماعات اليهودية التي تقع تحت سلطتهم. وكان سلوك أعضاء المجالس يندرج تحت واحد من أربعة أنماط :

١- تعاون من نوع ما في المجالات الاقتصادية والمادية .

٢- استعداد للاستجابة للمطالب لنازية حين يتعلق الأمر بمصادرة الممتلكات الأشياء المادية الأخرى، مع رفض كامل لتسليم اليهود .

٣- قبول اضطراري لإبادة جزء من الجماعة اليهودية على أمل إنقاذ الجزء الآخر .

---

(1) ناجوم جولدمان " السيرة الذاتية " ص ١٥٧، ١٥٨ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

٤- خضوع كامل للمطالب النازية نظير حماية مصالح القيادة اليهودية .

ويبدو أن القيادات اليهودية القديمة كانت تسلك وفق النمطين الأولين . ولكن النمطين الثالث والرابع سادا في المراحل الأخيرة حينما ترأست المجالس اليهودية شخصيات يهودية جديدة لم تضطلع بدور القيادة من قبل .

وكان النازيون يحاولون، قدر المستطاع، أن يضموا إلى هذه المجالس العناصر الصهيونية أو اليهودية القومية باعتبارها عناصر حديثة تشاركهم الرؤية في أن أوربا ليست وطن اليهود، وأنه يجب إخلاؤها منهم، وأن كفاح اليهود (باعتبارهم شعباً عضوياً) يجب أن ينصرف إلى الهجرة لا إلى المقاومة والثورة. وقد نجحت هذه المجالس في إدارة أمور الجماعات وضمان سكوتها. وكان كثير من الصهاينة أعضاء في هذه المجالس .

رابطة الثقافة اليهودية

وهي منظمة ألمانية يهودية تأسست في ألمانيا النازية عام ١٩٣٣، بمبادرة من النظام النازي وبعض المثقفين الألمان اليهود ونظراً لنجاح الرابطة، فقد تم في عام ١٩٣٨ تأسيس شبكة قومية من فروع الرابطة في كل أنحاء ألمانيا بلغ عددها ١٦٨ فرعاً، وبلغ عدد الفنانين اليهود التابعين للرابطة حوالي ألفين . وقامت الرابطة بتنظيم ما يقرب من ٨٤٥٧ برنامجاً تشمل محاضرات وحفلات ومسرحيات وعروضاً فنية . وحققت إيراداً بلغ مليوناً وربع مليون مارك. كما كان لها جريدتها الخاصة. وقد شاركت الرابطة بنشاط ملحوظ في الدعاية النازية، سواء في الداخل أم في الخارج. ففي الداخل، قامت الرابطة بزيادة التماسك العضوي والوعي اليهودي بين أعضاء الجماعة اليهودية، الأمر الذي يعني زيادة عزلتهم وإعطاء مصداقية للرؤية النازية لليهود .

أما بالنسبة للخارج، فكانت تعطي صورة مشرقة للحكم النازي في علاقته باليهود وفي سماحه لهم بالإفصاح عن هويتهم العضوية.

ولم يكن سلوك النازيين هذا ينم عن أي تسامح أو اضطهاد، وإنما هو تعبير عن إيمان بأن القومية العضوية تشكل أرضية تفاهم مشتركة بينهم وبين الصهاينة، وهي أرضية لا توجد بينهم وبين أي فريق يهودي آخر .

تيريس آينشتات

" تيريس آينشتات " مدينة في تشيكوسلوفاكيا حوَّلها النازيون إلى مستوطنة نموذجية بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٥. رُحِّل إليها حوالي ١٥٠,٠٠٠ هودي وقد أدار المستوطنة مجلس من الكبراء يضم القادة اليهود ويترأسه أحد كبراء اليهود كانت تعينه السلطات الألمانية. وتمتعت المستوطنة بحريات كثيرة، حيث كان لها نظامها التعليمي ونظامها البريدي المستقل ومكتباتها وهويتها الثقافية ، كما كان يتبع المستوطنة نظام قضائي مستقل .

وقد رُحِّل حوالي ١٤٠,٩٣٧ يهوديّاً إلى مستوطنة تيريس آينشتات من بينهم ٣٣,٥٢٩ ماتوا فيها، أي حوالي ٢٥%، ورُحِّل حوالي ٨٨,١٩٦ إلى معسكرات الاعتقال. وحينما تم تحرير المستوطنة كان يوجد فيها ١٧,٢٤٧ شخصاً .

وتثير هذه المستوطنة الكثير من القضايا :

١- يُلاحَظ اشتراك المجالس اليهودية مع السلطات النازية في كل الأنشطة سواء الإعداد والتخطيط للمستوطنة أو إدارتها ، وهذا التعاون يثير واحدة من أهم القضايا الأساسية في ظاهرة الإبادة النازية لليهود ، أي مدى اشتراك قيادات الجماعات اليهودية في عملية الإبادة .

٢- وتثير المستوطنة قضية ترشيد الإبادة، فلم يكن النازيون مجرد جزارين على الطريقة التقليدية، وإنما كانوا يلجئون إلى التخطيط العلمي الدقيق وإلى التفرقة بين اليهود المتميِّزين واليهود العاديين .

٣- ويمكن التساؤل أيضاً عما إذا كان هدف النازيين هو توظيف اليهود أم إبادتهم .

٤- ومن القضايا الأخرى التي تثيرها المستوطنة، عدد اليهود الذين تمت إبادتهم عن طريق أفران الغاز. فالموسوعة اليهودية (جودايكا) تتحدث عن أن ربع سكان هذه المستوطنة المثالية التي تتمتع بظروف خاصة ماتوا بسبب ظروف الحرب ، وأنه في أبريل ١٩٤٥ وصل إلى تيريس آينشتات ١٤,٠٠٠ سجين من معسكرات الاعتقال الأخرى، فاجتاحت الأوبئة سكان المستوطنة وهلك منهم ومن المرحلين الجدد الآلاف، واستمرت الأوبئة في حصدهم حتى بعد سقوط النظام النازي. فإذا كانت الأوبئة قد حصدت حياة الألوف قبل و بعد انتهاء الحرب، ألا يثير هذا قضية عدد اليهود الذين أبيدوا عن طريق أفران الغاز ؟

جماعة شتيرن والنازية

جماعة صهيونية حاولت التعاون مع النظم الشمولية فعقدوا اتفاقاً مع حكومة موسوليني تعترف بمقتضاه الحكومة الفاشية بالدولة الصهيونية على أن يقوم أعضاء شتيرن بالتنسيق مع القوات الإيطالية حين تقوم بغزو فلسطين . ولكن التعاون مع النازيين كان هو الهدف الحقيقي. وبعد الحرب العالمية الثانية اكتُشفت وثيقة أرسلتها جماعة شتيرن للحكومة الألمانية تنص على أن إجلاء الجماهير اليهودية من أوربا هو شرط مسبق لحل المسألة اليهودية. كما تذكر الوثيقة وجود مصالح مشتركة بين النازيين والصهيونية، وتُعبِّر عن تقدير جماعة شتيرن للرايخ الثالث لتشجيعه النشاط الصهيوني داخل ألمانيا وللهجرة الصهيونية إلى فلسطين. وتؤكد الوثيقة ضرورة التعاون بين ألمانيا الجديدة والفولك العبري في المجال السياسي والعسكري . وكان إسحق شامير، رئيس وزراء إسرائيل السابق، عضواً في جماعة شتيرن. وحينما عُيِّن شامير وزيراً للخارجية ثار الرأي العام العالمي بسبب تعيين إرهابي مثله (قام بتدبير عملية اغتيال اللورد موين في القاهرة عام ١٩٤٢ والكونت فولك برنادوت عام ١٩٤٨) ولكن أحداً لم يتطرق إلى ماضيه النازي !!

عصبة الأشداء

جماعة صهيونية كان معظم مؤسسيها أعضاء في منظمات صهيونية عمالية ثم استقالوا منها . وقد تبنت الجماعة صياغة صهيونية لا تُخْفِي إعجابها بالفكر النازي. وكانت مجلة عصبة الأشداء في فلسطين تزخر بالمقالات التي تمجد هتلر والهتلرية. وكان من بين هتافات أعضاء العصبة « ألمانيا لهتلر، وإيطاليا لموسوليني، وفلسطين لجابوتنسكي (زعيم الصهيونية التصحيحية) ». كما مجَّد أعضاء الجمعية الجوانب العسكرية في تاريخ العبرانيين، وكان أتباع الجمعية يرون أن الاغتيال السياسي ليس جريمة وإنما هو فعل ذو هدف ومعنى، وأن الدم والحديد هما الطريق الوحيد للتحرر. وكما قال آبا أحيمئير (١٨٩٨ ـ ١٩٦٢) مؤسس الجماعة : " إن "الماشيَّح لن يأتي راكباً على حمار"، وهو ما يعني أن الماشيَّح الصهيوني سيأتي راكباً دبابة، حاملاً القنابل العنقودية! ورغم أن جابوتنسكي كان يحاول أحياناً أن يحتفظ بمسافة بينه وبين أعضاء الجمعية، إلا أنه كان يُعبِّر في خطاباته عن إعجابه بهم وتعاطفه معهم. ولم يتخذ أي إجراء تنظيمي ضدهم وتذكر موسوعة الصهيونية وإسرائيل أن مناحيم بيجين انضم إلى الجناح الراديكالي لحركة التصحيحيين الذي كان مرتبطاً بعصبة الأشداء وقد استمرت العلاقة بين بيجين وأحميئير حتى بعد إعلان الدولة، فسمح بيجين، باعتباره رئيس حزب حيروت، بأن يكتب أحميئير في الجريدة اليومية للحزب، إلى أن مات عام ١٩٦٢. "

جرائم اليهود الصهاينة في حق اليهود

لقد ارتكب اليهود الصهيونية أبشع الجرائم في حق اليهود أنفسهم فقد كان حرصهم على إقامة دولة إسرائيل أهم عندهم من إنقاذ يهود أوربا من الإبادة كما أشرنا ، لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل وصل باليهود الصهاينة إلى قتل أعداد كبيرة من اليهود من أجل مشروعهم القومي ففي عام ١٩٤١ ومن أجل إثارة السخط على الإنجليز الذين كانوا قد قرروا إنقاذ اليهود المهددين من هتلر وذلك باستضافتهم في

جزيرة موريشيس فإن الباخرة التي كانت تنقلهم وهي ناقلة البضائع الفرنسية " باتريا " وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠ لم يتردد الزعماء الصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها مما أدى إلى وفاة ٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز .

ومثال آخر وقع في العراق ، فقد كانت الطائفة اليهودية (١١٠,٠٠٠ شخص في ١٩٤٨) متأصلة في العراق ، وأعلن حاخام العراق الأكبر خدوري ساسون : " لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق الامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد " .

ثم بدأت التصرفات الإرهابية الإسرائيلية ، في عام ١٩٥٠ في بغداد وأمام إحجام اليهود العراقيين وترددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجرة إلى إسرائيل ، ولم تتردد الأجهزة السرية الإسرائيلية ومن أجل إقناعهم بأنهم في خطر بإلقاء القنابل عليهم ، وقتل الهجوم على معبد " شيم توف " ثلاثة أشخاص وجرح العشرات وهكذا بدأ الخروج المسمى " عملية علي بابا " [1]

وكان الهدف المنشود هو تجميع اليهود في جيتو علمي ، لكن العودة لم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية .

الصهيونية والحروب العربية

لقد استغل زعماء الصهيونية جرائم القتل التي حدثت لليهود – والتي شاركوا في بعضها بالتعاون مع النازيين أو قاموا هم أنفسهم بها – من أجل تخويف اليهود وخاصة الأغنياء والعلماء والشباب إلى الهجرة إلى فلسطين عندما لاحظوا إحجامهم عن ذلك ، كما استغلوها في ابتزاز من قاموا بهذه الجرائم ماديا وسياسيا .

(1) جريدة أديعوت أحرونوت الإسرائيلية في ٨ ١٩٧٧ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

ولكي يعمل زعماء دولة إسرائيل على التأليف بين هؤلاء المهاجرين أو المهجرين الذين ينتمون إلى حوالي ١٠٠ جنسية مختلفة فإنهم عمدوا إلى إثارة الحروب مع العرب من أجل هدفين :

١- توحيد هذه الجماعات المتباينة دينيًّا وثقافيًّا وجنسيًّا تحت شعار إما أن تتحدوا وإما أن يبيدكم العرب بقيادة عبد الناصر أو صدام حسين أو أحمدي نجاد أو أسامة بن لادن أو حسن نصر الله أو قادة حماس ...

٢- التوسع على حساب البلاد العربية وتحقيق أسطورة أرض إسرائيل من النيل للفرات .

وكما أن العرب يدفعون ثمن هذه السياسة النازية التي نهجها زعماء إسرائيل فإن اليهود يدفعون الثمن كذلك ، فكثيرة هي دماء اليهود الإسرائيليين التي تراق دون سبب إلا طموحات زعماء إسرائيل العدوانية التوسعية .

فخمسة حروب من الحروب الستة التي جرت بين دولة إسرائيل والدول العربية كانت حروبًا عدوانية شنها زعماء إسرائيل النازيين ضد العرب المسالمين ، فقادة العرب بعد حرب ٤٨ لم يفكر أحد منهم في الاعتداء على إسرائيل ، وعبد الناصر (الذي كان يدعوه الصهاينة النازي الجديد) لم يكن عدوا حقيقيا لإسرائيل فلقد اعترف في وقت مبكر جدا (في مؤتمر باندونج ١٩٥٥) بقرارات الأمم المتحدة عامي : ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ بشأن تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية ، و لم يقم بأي إجراء عسكري ضد إسرائيل رغم الاستفزازات الإسرائيلية المتكررة ، التي وصلت لاحتلال منطقة " العوجا " و" الكونتيلا " المصريتين ووصل عدد القتلى من جراء هذه الغارات إلى نحو ١٥٠ قتيلا غير مئات الجرحى .

كما أنه لم يسعَ ليشن حربا هجومية وقائية واحدة ضد إسرائيل رغم علمه – يقينا – بعزم إسرائيل على شن حرب وشيكة على مصر (حدث هذا في ٥٦ ، ٦٧) ،

وبعد جلاء العدوان الثلاثي وتوقيع اتفاقيته تأكد اعتراف عبد الناصر – الرسمي - بإسرائيل وبحقها في الوجود ، وبحرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة ، وأصبح مسألة مرور السفن رافعة العلم الإسرائيلي في خليج العقبة أمرا واقعا ، كما سمح بقوة الطوارئ الدولية أن ترابط في شرم الشيخ وقطاع غزة ، وعليه فإن عبد الناصر لم يطلق رصاصة واحدة نحو إسرائيل لمدة إحدى عشرة سنة (من ٥٦ – ٦٧)

وبعد هزيمة ٦٧ أعلن قبوله لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ولمشروع روجرز وزير الخارجية الأمريكية ، اللذين يعدان أساساً لمعاهدة السلام التي وقعها السادات مع الإسرائيليين عام ١٩٧٩، وتاريخ عبد الناصر يؤكد مهادنته لإسرائيل .(1)

الصهيونية العالمية ودعم المتطرفين

تلجأ الصهيونية العالمية الآن إلى حيلة ذكية ، وهي دعم – خفي - للنُّظُم والجماعات المعروفة بتطرفها تجاه أمريكا وإسرائيل والتي تتبنى الخيار العسكري كحل وحيد – رغم قلة عددها وضعف قوتها - للصراع العربي الصهيوني ومحاولة إظهار أصوات القادة العرب المعتدلة بمظهر الجبن والخيانة للقضايا العربية وهذا الدعم الخفي للجماعات والنُّظُم المتطرفة تجاه أمريكا وإسرائيل له هدفان :

١- تمزيق الوحدة الوطنية ، وإشعال الحروب الأهلية بضرب المتطرفين بالمعتدلين كما حدث مع حماس وفتح ، وحزب الله وكتلة ١٤ آزار ، والشيعة والسنة في العراق ،والإخوان والدولة المصرية ...

٢- اتخاذ مواقف المتطرفين ذريعة للعدوان العسكري ، أو الحصار الاقتصادي ، أو العزل السياسي ، أو الدعم اللا محدود للسياسة الصهيونية في المنطقة كما حدث هذا في الحرب الأمريكية / العراقية ، الإسرائيلية / اللبنانية ، والحصار الاقتصادي المضروب على الفلسطينيين ، والعزلة الدولية المضروبة على سوريا وإيران .

(1) لمزيد من التفصيل حول علاقة عبد الناصر بإسرائيل انظر كتابنا " دروس سياسية من التجربة الناصرية " .

والمدهش حقاً أن تقوم بهذا الدعم نيابة عن أمريكا وإسرائيل قناة الجزيرة الفضائية القطرية ، ومن المعروف أن دويلة قطر بها أكبر قاعدة أمريكية توجه منها أمريكا ضرباتها ضد أعدائها من العرب !!

ففي أعقاب العمليات العسكرية المشتركة خلال حرب الخليج الثانية والمَسماة عملية "عاصفة الصحراء" في عام ١٩٩١، خلصت قطر والولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية للتعاون الدفاعي، والتي تم توسيعها في وقت لاحق في أبريل ٢٠٠٣، حيث انتقل بموجبها مركز العمليات الجوية القتالية الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط من قاعدة الأمير سلطان الجوية في المملكة العربية السعودية إلى قاعدة " العديد الجوية " في قطر جنوب الدوحة.

تُعتبر قاعدة " العديد " وغيرها من المرافق في قطر بمثابة مكان الدعم اللوجستي، ومكان إصدار الأوامر للقيادة المركزية للعمليات (قيادة المنطقة الوسطى) للولايات المتحدة الأمريكية ، بما في ذلك العراق وأفغانستان .

وعلى الرغم من كون قطر المضيف للوجود العسكري الأمريكي الكبير الداعم للمبادرات الإقليمية للولايات المتحدة الأمريكية، بقيت قطر في مأمن من الهجمات الإرهابية، إلا أن التصريحات الإرهابية تشير إلى أن البنية التحتية للطاقة والمرافق العسكرية الأميركية في قطر لا تزال أهدافا محتملة .

عرفنا لماذا تدعم قطر المنظمات الإرهابية ، والجماعات المتطرفة ماديًّا وسياسيًّا وإعلاميًّا .

***